مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

صورة بلاد الترك وأوروبا الدينية والاجتماعية من خلال كتب الرحالة المسلمين

عباس جبير سلطان التميمي انتصار لطيف حسن السبتي

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

المسلمون- توثيق المعلومات- الحضارة الإسلامية- بلاد الترك

المستخلص باللغة العربية:

المستخلص

حملت هذه الدراسة عنوان " صورة بلاد الترك وأوروبا الدينية والاجتماعية من خلال كتب الرحالة المسلمين " لتسلط الضوء على العقائد الدينية التي كانت تمارسها تلك الشعوب في تلك البلدان ، من خلال ما تم توثيقه من قبل الجغرافيين العرب المسلمين بكل تفاصيلها ، ليتم مقارنتها ، مع ما كانت تنعم به بلادنا الإسلامية من عز وكرامة في ظل الإسلام الحنيف بقيادة رسولها محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ومن هنا جاء هذه الدراسة لتكشف الستار عن ما كانت عليه الشعوب من ظلالة وصنمية والذي تتبجح اليوم بأنها من الدول المتقدمة في الفكر والممارسة الديمقراطية .

لم يكن هناك تبجح من قبل الباحثان أو مغالطة أو اللعب في النصوص وإخفاء الحقائق الذي دونها الرحالة ، بل كان نقلاً سليما نظيفاً لتلك المعلومات ، لنضع الباحث أو القارئ أما صورة من عمق الماضي ، ولا ينظر إلى حال امته في الوقت الحاضر وما تعانيه من تمزق وتامر على وحدتها أو تاريخها أو وجودها ، عندما تصور دول الضلالة تاريخها بأن لها تاريخ ناصع البياض ، وأن تاريخ الإسلام أو دين الإسلام ما هو إلا عبارة عن غزو وسلب وجمع النساء ليغرز

صورة ذهنية في فكر أجيالنا ، ليشكل حواجز بينه وبين دينه وتاريخه .

هذه الدراسة تكشف النقاب عن سلوكيات تلك الشعوب وممارساتها وتقدمه بصورته التي أوردها الرحالة لتكون شاهداً على تلك الضحالة ، في الوقت نفسه تضعه في كفة الميزان الأخرى وتقارنه ، بما جاء به الإسلام من قيم وسمو توارثها الأبناء عن الإباء ، ليختار الله (جل علاه) العرب من بين كل الأمم لحمل رسالته ، وهو ما أغضب باقي الأمم ، فكان التآمر على هذه الأمة إلى يومنا هنا .

١ . المقدمة

الحمد الله رب العالمين وأتم الصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد بن عبد الله وعلى أهل بيته الطاهرين وصحبه المنتجبين .

وبعد : لم تكن الرحلات الاستكشافية الجغرافية الذي قام بها الكثير من الجغرافيين العرب المسلمين وغير المسلمين كما يظنها الكثير من الذين يتصفحون تلك الاسفار من الرحلات بالسهولة وهم يتمتعون بها ، ويضنونها جزء من مغامرات أن صح التعبير في الوقت الحاضر ، ولكن في الحقيقة كانت على درجة من الصعوبة والمشقة بحيث دفع الكثير حياتهم وضاعت ما تم جمعه من مشاهدات وتوثيق ، كان له أثر كبير لو تم الحصول عليه ، ولكن تم فقدانه ، هذا من جانب ، ومن جانب أخر أن بعض الرحالة لم يصل الى ما تم توثيقه بل أعتمد على شقين من توثيق المعلومات ، منها عن طريق السمع ، ومنها تم أستنساخ من الاخر الذي وصل الى تلك البقاع النائية ، ولكن لم يذكر أسم من نقل منه .

ومع ذلك تعد هذه الكتب والرحالات بمثابة الهوية الوحيد التي حفظت لنا تلك سلوكيات تلك الشعوب وعاداتها وعباداتها وكل ما يتعلق بحياتها ، حتى أصبحت تشكل جذور وجودها ، فاحتفظت تلك الشعوب في خزائنها بهذا التراث الذي تم توثيقه من قبل الرحالة المسلمين وغير المسلمين لتحدد خرائطها .

ومن هنا جاء هذا البحث لينقل ما تم توثيقه من قبل الرحالة الجغرافيين المسلمين للوقوف على ما كان عند بعض قبائل أوروبا وبلاد المشرق من عادات وسلوكيات في حياتهم وما كانت تعيش تلك البقاع في دوامه غير إنسانية مقارنة بالعرب المسلمين الذين لم يصلوا الى الدرجة الدنيئة والدونية التي كانت تعيشها تلك الشعوب التي تفتخر اليوم بأنها هي التي أسست الحضارة وأنها مصدر الديمقراطية وأنها على الدرجة الاولى من الانسانية .

ونحن ننقل تلك الصور لنضعها أمام العقل العربي والمسلم بصفة عامة ، ليس الغرض منها التشويه أو الاستكبار أو التشفي أو الاحتقار بقدر ماهو أننا كرمنا الله برسولنا محمد وختم دينه بنا لاننا كنا أكرم الخلق وأكثرهم مروءة وقوله تعالى خير شاهد على ذلك : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110- البقرة) وقوله تعالى :(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (143- البقرة).

٢ . المبحث الاول

- المعتقدات الدينية للقبائل الترك :-

لقد تأثرت حياة الشعوب ببيئتها الجغرافية وبنمط حياتها البدوية، فأثر ذلك على ارتباطها بالطبيعة كالخوف من بعض مظاهرها والرعبة في تجنب مخاطرها ، وهذا ما جعل حياة تلك الشعوب. والقبات أسيرة عدد من المظاهر الطبيعية والتي أصبحت بعد مرور الزمن أشبه ما تكون بدين لهذه الأمم التي أمنت بها ودافعت عنها .

وهذا الاعتقاد لا يختلف في إطاره العام عما كان عليه لدى جميع الشعوب البدوية البدائية في مختلف أرجاء المعمورة، وشعوب الترك منها.

إذ إن حياة قبائل الترك في بلاد ما وراء النهر مرت بأطوار حضارية مختلفة ، قادت إليها مجموعة من

العوامل أثرت سلباً وإيجابا بمعتقدات تلك القبائل ، فقد عاشت قبائل الترك على رفعة جغرافية واسعة كان في جزء منها حياة الاستقرار والتمدن، وفي جزئها الآخر عاشت بعض القبائل فيها حياة البداوة والتنقل، وهذه المعطيات جعلت نظرة الترك للمظاهر المحيطة بهم نظرة تقسم بالاختلاف والتنوع في فهم الأشياء وإدراكها ، فالأتراك متمذهبون بمذاهب شتى ([1]) إذ ليس لهم دين واحد أو معتقد واحد ، فمنهم من هو على دين المجوسية ، ومنهم من تهود كما يقول المسعودي ([2]) . قطبيعة حياة تلك القبائل وارتباطها ببيئتها الجغرافية جعل من مواطنها ممراً للأديان والأفكار ([3]).

ما ينبغي أن يشار إليه هنا هو : الاختلاف الديني والعقائدي لقبائل الترك ، اذ كانت لكل قبيلة منهم معتقد خاص آمنت به بسبب حادثة معينة أو بدافع الخوف منه ، وهو معتقد مغاير المعتقدات جارتها من القبائل التركية الأخرى ، فحياة كل قبيلة تركية مليئة بالأساطير والخرافات التي آمنت بها ، والتي أصبحت بعد برهة من الزمن معتقد ديني لهذه القبيلة أو تلك ، ودراسة جميعالمعتقدات الدينية القبائل الأتراك كافة أمرا غير ممكن ذلك لان الأتراك ((امة عظيمة كثيرة الأجناس والأنواع ، كثيرة القبائل والأفخاذ)) ([4]) وهم كما يصفهم الإدريسي ([5]) قائلا: أمم لا يحصى لهم عدد ، لذا فمن غير المنطق الإحاطة بجميع المعتقدات الدينية لقبائل الأتراك كافة ، لذلك ستكون الدراسة خاصرة بمعتقدات القبائل التي أشار إليها ابن فضلان في رسالته.

أولاً : المعتقدات الدينة لقبائل الغزية :-

انتشرت الديانات الوثنية بين قبائل الأتراك الغزية في المراحل المبكرة من تاريخهم ، إذ اعتقدت تلك القبائل بقدسية الأشخاص وأكابر قومهم، فقد كانوا يسمون كبراء هم أربابا ، فإذا استشار جدهم رئيسه قال له : يارب ايش اعمل في كذا وكذا ([6]) ، كما قدمت هذه القبائل المظاهر الطبيعية الحيوانات والديانات، وكذلك الجبال التي اعتبروها مسكنا للالهه ([7]) وقد أشار الكرديزي ([8]) إلى تغرخافات القبائل العربية كان على المذهب الديناروي ([9]) إلا انه توجد داخل حدود مملكته عاقدات المسيحية والشامانية وكذلك المانوية التي كانت تعتقد بها قبائل التغزيز ([10]) وكانت بعض الأتراك الغزية كما يقول القزويني ([11]) : تسجد لأثر في صخرة على جبل مذكور ([12]) ينسبونها للنبي عيسى (عليه السلام) ، أما ابن فضلان ([13]) فقد أبصر معتقدات الأتراك الوثنية القائمة على الساسي الحريفة والاسطورة فأوجد وصفها بأدق العبارات ، فقد وصفهم قائلاً : ((وهم كالحمير الغسالة لا يدينون الله يدين ولا يرجعون إلى علمى، ولا يعبدون شيئاً)) ، ولكن هذه القبائل قد تغير بعضها عدما أصبحت بلادهم تمادي بلاد المسلمين (خوارزم) إذ دخلوا في الإسلام وعرفوا بالتركمان ((فلما صافوا بلاد المسلمين السلم بعضهم وسموا بالتركمانية)) ([14]) . وكان إسلام هؤلاء كما يظهر في سنة 346هـ إذ أشار ابن كثير ([15]) لذلك ضمن حوادث هذه السنة فقد ذكر قائلاً : ((وفيها أي سنة 346هـ - اسلم من الترك ماننا ألف حركاء قسموا ترك ايمان ثم خفف اللفظ بذلك فقيل تركمان)) موقد حدثت اضطرابات ومنازعات داخلية بسبب إسلام هؤلاء أدى إلى قتال بين من أسلم منهم ومن ثم يسلم تمكنوا فيه المسلمين من هزيمة أبناء جلدتهم الذين لم يدخلوا الإسلام بعد ((وغالبوا الكفرة وطردوهم فتتحقيق قيق وا عن خوارزم إلى محال البحناكية)) ([16]).

خلاصة القول : إن عقائد قبائل الأتراك الغزية كانت في المراحل الأولى من تاريخهم عقائد وثنية تعتمد على أساس الخرافة والأسطورة، وكذلك الخوف من تلك المظاهر ، فقدسوا الحيوانات والنباتات وكذلك الأشخاص ، كما قدمت هذه القبائل بعض الألوان التي اعتبروها ألوانا إلهية محببة كاللون الأرجواني الذي

---

[1]- الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص 165

[2]- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (346هـ/957م) أخبار الزمان ، ط2 . دار الأندلس، بيروت ، 1385هـ / 1966م، ص 98

[3]- جنكيز خان عبد العزيز، تركستان قلب آسيا، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2010م ، 22 ص

[4]- مروري شرف الزمان طاهر أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان متحف مينورسكي لندن ، 1942م، ص 17.

[5]- نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص 165

[6]- ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص 91

[7]- أبو الفضل سميحة ، عقائد الغز والمغول في بلاد ما بين النهرين قبل دخوله الإسلام، بحث نشر في مجلة الدراسات التاريخية مجامعة دمشق ، العددان 103 و 104 ، 1429 هـ / 2008م، ص 97

[8]- الكرديري أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (443هـ / 1051هـ)، زين الأخبار ، تحقيق : عفاف السيد زيدان ، ط1 المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، 2006 م، ص 382

[9]- لم تحصل له على تعريف فيما توفر لدينا من مصادر

[10]- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (487هـ/1094م)، المسالك والممالك، تح. جمال طلبة، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ / 2003م، ج 1 ، ص 198

[11]- آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 2421.

[12] - لم تعثر لم على ترجمة في كتب البلدان

[13] - رسالة ابن فضلان ، ص 91

[14] المروزي ، أبواب في الصين والترك والهند ، ص 18

[15] البداية والنهاية جـ 11 ، ص 236

[16]- المروزي ، أبواب في الصين والترك والهند ، ص 18

تصنع منه ثياب الملوك عندهم ([17]) ، بعد ذلك تطلع بعضهم إلى الدين الإسلامي بعد إن أصبحوا على مقربة من حدود المسلمين فاسلموا وعرفوا بالتركمان .

ثانياً ـ المعتقدات الدينية لقبائل الخرخيز :

أما المعتقدات الدينية لقبائل الخرخيز فالغالب عليها العبادات الوثنية الطوطمية إذ تفيد المصادر إنهم كانوا وثنيين يقدسون الحيوانات والنباتات ، فقد كان بعضهم يقدس البقر ويعبده ، وبعضهم الآخر يقدس القنفذ ، كما عبد بعضهم العقعق وقدسه ، ومنهم من قدس الأشجار أو الرياح ([18])

فالخرخيز كما يقول القزويني ([19]) يعظمون زحل والزهرة ويتطيرون بالمريخ ، ونلمس مما يذكره المروزي ([20]) إن أهل الخرخيز كانوا يعتقدون بطهارة النار وقدسيتها ويزعمون ان النار تطهرهم وتنقيهم)) ، وكانت جميع قبائل الخرخيز تؤمن بترهات رجل منهم يعرف بـ ((فغينيون)) فقد كانوا يستدعونه في كل عام مرة ويجمعون حوله المغنين وأصحاب المزامير ، ويباخذون بالشرب والرقص والغناء ، حتى يفقد ذلك الرجل وعيه ، فيسألونه عن كل ما سيكون في هذا العام من الضيق والسعة ، والأمطار والقحط ، وكذلك الطمأنينة وغلبة العدو ، فيذكرها كلها وهم يعتقدون إن ذلك حق ويؤمنون بها ([21]) .

أما عقائد قبائل الخرخيز ومعرفتهم بالإسلام فلم يكن لهم في أول الأمر معرفة بالدين الإسلامي ؛ ولكنهم بعد ذلك اخذوا يتأثرون بالديانة الإسلامية وبدءوا بتغير بعض عاداتهم لتتماشى مع قيم وعادات الإسلام فعلى سبيل المثال كانوا في أول أمرهم يحرقون جثث موتاهم ((فلما جاوروا المسلمين صاروا يدفنون الموتى)) ([22]) ؛ ولكن معرفتهم بالدين الإسلامي ظلت معرفة غامضة فلم يشيدوا المساجد ، ولم يظهر منهم فقيها أو رجل دين يعلم الناس التعاليم الإسلامية ([23]) لذا بقي الكثير منهم حتى مطالع القرن التاسع عشر للميلاد / الثالث عشر للهجرة لا يزالون على الوثنية ([24]).

ثالثاً ـالمعتقدات الدينية لقبائل المجغرية :

لا نعرف على وجه التحديد أو الدقة المعتقدات الدينية التي كانت منتشرة بين قبائل الأتراك المجغرية ؛ ذلك لان اغلب المصادر التاريخية وكتب البلدان المتوافرة بين أيدينا لا تذكر شيئاً عن ذلك ، وكل ما جاء من روايات في بعضها تعد روايات مقتضبة ومبهمة منقوصة، لكننا مجبرين على لأخذ بها والاستنتاج منها ، فقد ذكرت تلك المصادر ([25]) إن قبائل المجغرية عبدة الأوثان والنيران ، وهذا يدل على انتشار المعتقدات الوثنية في بلاد المجغرية ، وأنهم كانوا يعبدون النار ويقدسونها ، وهنا لابد من الإشارة إلى ان عبادة النيران وتقديسها لم تكن حصراً على قبائل الأتراك المجغرية فقد كانت أغلب قبائل الترك في بلاد ما وراء النهر تعبد النار وتقدسها.

رابعاً- المعتقدات الدينية لقبائل الخزر :

كانت بلاد الخزر محط لمختلف الأديان والمذاهب ، فقد كان الخزريون في أول أمرهم وثنيين عتم أخذت الأديان السماوية ((المسيحية ، واليهودية، والإسلام)) تنتشر في بلادهم، فمنهم مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الأوثان، وأكثرهم المسلمون والنصارى ([26]) ، أما الديانة اليهودية فكانت اقل الأديان انتشاراً ان يذكر البكري ([27]) ذلك قائلاً: ((وجملة الخزر مسلمون ونصاري ، وفيهم عبدة الأوثان، واقل الفرق منهم اليهود)) ؛ إلا إن تلك الفرقة تمكنت من استمالة الملك وحاشيته إليها . فتهود الملك وأعوانه في القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد 170 - 193 هـ ([28]) وذلك بعد مناظرة جرت أحداثها أما الملك بين أصحاب الديانتين ((المسيحية واليهودية)) ولم يكن للإسلام وجود في تلك المناظرة الأسباب بيناها سابقاً .

وما إن انتهت تلك المناظرة لصالح رجل الدين اليهودي حتى اعتنق خاقان الخزر وأعوانه الديانة

---

[17] ـ أبو الفضل سميحة ، عقائد الغز والمغول في بلاد ما بين النهرين قبل دخوله الإسلام ، ص 97.

[18]- الكرديزي ، زين الأخبار ، ص 378

[19]- آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 240

[20]- أبواب في الصين والترك والهند ، ص 18

[21]- المروزي ، أبواب في الصين والترك والهند ، ص 18 : الكرديزي، زين الاخبار ، ص 378

[22]- المروزي ، أبواب في الصين والترك والهند ، ص 19

[23] الفقي عصام الدين عبد الرءوف تاريخ الفكر الإسلامي ، دار الفكر الإسلامي القاهرة، 1421هـ / 2001 م، ص 41.

[24]- أرتولد . توماس ... ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترحسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين ، ط3، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1970 م ، ص 278

[25]- البكري ، المسالك والممالك ، ج2، ص 27، الكرديري ، زين الأخبار، ص 361، ابن رسته ، العلائق النفيسة ، ص144.

[26]- ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤسس (ت 739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع مطا، دار الجيل، بيروت، 1412هـ ،ج1، ص 465

[27]- المسالك والممالك ، ج 2، ص 24

[28]- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (346هـ/957)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تم اسعد داغر دار الهجرة قم ، 1409هـ، ج1 ص 76 : الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (346هـ / 957هـ)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004م، ص 176 الحميري . الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 219.

اليهودية ([29]) ، وأصبحت هي الدين الرسمي للدولة ([30]) ، اما عن معرفة الشعوب الحزرية بالدين الإسلامي فترجع بداياتها لأيام الفتوحات الإسلامية في القرن الأول للهجرة السابع للميلاد وتحقيق قيق ديدا منذ سنة 89هـ عندما قاد مسلمة بن عبد الملك عدة حملات ناجحة على بلاد الخزر وأرمينية وأذربيجان واستطاع من فتحقيق قيق عدة حصون هناك ([31]) ومن ذلك الوقت بدأت معرفة قبائل الخزر بالإسلام تزداد رويداً رويدا وكثر المسلمون هناك وأصبح لهم مؤذنون وأماكن عبادة وهذا ما أشار إليه ابن رسته ([32]) بالقول : ((خلق) من المسلمين لهم مساجد وأئمة ومؤذنون وكتاتيب)) إذ أصبح عددهم يقدر بعشرة آلاف مسلم ولهم فيها نحو ثلاثين مسجداً ([33]) .

هنا لا بد من الإشارة لحرية الأديان والتسامح الديني الذي عرفت به الشعوب الخزرية . فعلى الرغم من تهود الطبقة الحاكمة (الملك وأعوانه)) في بلاد الخزر : إلا إنهم تركوا الحرية للأديان الأخرى ، فقد كانوا أصحاب الديانات الأخرى يمارسون طقوسهم بحرية تامة ، بل كانوا يتقاضون على وفق أديانهم وشرائعهم ، إذ كان للمسيحيين قاض منهم ، وللمسلمين قاض منهم أيضا ، فقد كان قاض المسلمين يقال له خز لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره ([34]) كما أعط الحق للمسلمين الخزريين في عدم الاشتراك في الحروب والنزاعات التي تحقيق قيق دث بين ملك الخزر والبلدان الإسلامية الأخرى([35]) .

خامساً- مشاهدات الرحالة في بلاد السرير

من المشاهدات التي سجلها الرحالة هي عادات دفن الموتى الغريبة عن عادات الإسلام ،جاء عن أبن رسته في هذا الأمر " اذا مات ميتهم وضعوه على الجنازة ، وأخرجوه الى الميدان ، فتركوه ثلاثة أيام على الجنازة ، ليتأكدوا من موته ،فإذا أتى اليوم الرابع ركب أهل المدينة ، بالجواشن والدروع حتى يصيروا الى طرف الميدان ، فيحملون على الميت الذي في الجنازة برماحهم ، حيث يدورون حول الجنازة ويشرون إليه بالرماح ولا يطعنوه قال : فسألتهم عن فعلهم فقالوا كان عندنا رجل مات ودفن فلما كان بعد ثلاث صاح من قبره فنحن نترك الميت ثلاثة أيام فإذا كان اليوم الرابع نهول عليه بالسلاح حتى أن كان روحه قد عرج به رجع إلى جسده وصار هذا سنتهم نحو ثلثمائة سنة "([36]) من المشاهدات لهذه البلاد" وعن يمين القلعة طريق يخرج منه بين جبال شاهقة وغياض كثيرة مسيرة أثنى عشر منزلا حتى يقدم مدينة تسمى الخيزران ، ولهم ملك يسمى أذرنرسي ، يتمسك بثلاثة أديان ،إذا كان يوم الجمعة صلى مع المسلمين ، وإذا كان يوم السبت صلى مع اليهود وصلى يوم الأحد مع النصارى ، فكل من جاءه زعم أن فرقة من هذه الأديان يدعو إلى دينه ويزعم أن الحق بيده وأن سوى دينه باطل فأنا أتمسك بالكل حتى ادرك حق الأديان " ([37])

سادساً - مملكة للاَّنُ : الديانة

اتخذ ملك اللان الدين المسيحي كدين رسمي لدولته ، ولو يجبر رعاياه على الدول في هذا الدين ، فكان هو ومن معه في البلاط على دين النصرانية، أما عامة أهل مملكته فهم " كفار يعبدون الأصنام " . ([38])

سابعاً - بلاد الخزر: الديانة

ديانة الخزر الرسمية هي اليهودية ، وذلك لان ملكهم على هذه الديانة ، ووجد إلى جانب هذا الدين ديانة أخرى وهي المسيحية والوثنية ، مما يدلل على وجود حرية أتخذ ألمعتقد ،وكل هؤلاء يسكنون مدينة الخزر ذو الجانبين الشرقي الذي تسمى أتل ، والغربي ، وهي غرب نهر اتل وهي اكبر من الأولى ويسكنها الملك وتسمى خزران ،والتي تحيط بهاتين المدينتين سور واحد من دون حواجز ، وعلى الرغم من هذا الخليط إلا أن الجميع يعيش بسلام ،دون تدخل بعضهم في شؤون بعضها الآخر .

---

[29]- إن من أهم الأسباب التي كانت تكمن وراء اعتناق خاقان الخزر للديانة اليهودية هو أولاً بسبب الإمبراطورية البيزنطية ، ذلك ان بيزنطة كانت تعد المنافس القوي لدولة الخزر التي كانت تتطلع للسيطرة على شؤون الممالك المجاورة ، كما تتطلع للسيطرة على تجارة الرقيق الصقالبة المريحة ، أما السبب الثاني وهو يعد أيضاً من الأسباب المهمة التي دفعت الخاقان لاعتناق الديانة اليهودية هو إن نسبة المسلمين في بلاده كانت نسبة كبيرة ولو اعتنق الدين الإسلامي فهذا يعني انه سيصبح تابع للخلافة العباسية القوية جدا والتي ربما ترسل من ينوب عنها لبلاد الخزر وهذا مدعاة لسيطرتها على تلك البلاد التي ظلت عصية على الفاتحين العرب لسنوات طوال ، لذلك أراد الخاقان بإبعاد بلاده من الخطر العربي المنزلية واسعاف بيزنطة وتصميم دورها في المنطقة وهذه الأسباب وغيرها كانت تكمن وراء اعتاق الخاقان الديانة اليهودية .

[30]- دنلوب ، د. م . ، تاريخ يهود هرر بقلم سهيل زكار، ط2، دار حسن، دمشق 1410هـ/ 1990 م ، ص136.

[31]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج 3 ، ص 680 : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 4، ص 252 .

[32]- أبن رستة، أبو علي احمد بن عمر كان حيا سنة 290هـ / 902هـ)، الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل ، ليدن ، 1893م، ص140

[33] - الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 76 ؛ المباح ، أوربا في كتب البلدانيين العرب والمسلمين ، ص 319

[34]- ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص 172 ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 76 ؛ القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 241

[35]- لبكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص 199

[36] - الأعلاق النفيسة – ص147.

[37] - المصدر نفسه – ص148.

[38] - البكري – المسالك و الممالك- م2 – ص27

وجاء عن ابن حوقل في هذا الأمر قوله: " وفيهم خلق من المسلمين، ويقال أنهم يزيدون على عشرة آلف مسلم وبها نحو ثلثين مسجداً...ولسور البلد أبواب أربعة منها يلي النهر وآخر إلى ما يلي الصحراء على ظهر المدينة ، والملك يهودي ويقال أن له من الحاشية نحو أربعة آلف رجل وبهاتين الناحيتين مسلمون ونصارى وعبدة الأوثان ، وأقل الفرق فيهم اليهود ، وأكثرهم المسلمون إلا أن الملك وخاصته يهود " [39] .

وبالرغم من ديانة الخزر الرسمية هي توحيدية وهي المتمثلة باليهودية إلا أن الوثنية غالبة عليهم في سلوكياتهم وتصرفاتهم بل وحتى أحكامهم التي يقضون بها وهي مخافة لجميع الأديان السماوية الموحدة، مما يدلل تأثير الوثنية بهم التي توارثوها من عبدت الأوثان التي تعد أقدم الأديان التي دخلت هذه البلاد ويؤكد هذا القول ابن حوقل بقوله عن هذا الأمر " و الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان يسجد بعضهم لبعضٍ عند التقائهم و أحكامٍ يمضونها على رسوم قديمة تخالف دين الإسلام و اليهود و النصارى " [40] .

من هذا نود القول أن الديانة الرسمية للدولة أمام الممالك والدول هي اليهودية كما اسلفنا حيث أن المنظومة السياسية كانت على هذا الدين ويؤكد هذا القول ابن رسته " رئيسهم الأعظم على دين اليهود و كذلك أيشا ومن يميل ميله من القواد و العظماء و البقية منهم على دين شبيه دين الترك " [41]

أما سبب اتخاذ الخزر الديانة اليهودية التي أصبحت الدين الرسمي لهم بالرغم من أن اليهود أقلية صغيرة قياساً للمسلمين الذين يبلغ عددهم عشرة آلاف مسلم و لهم ثلاثين مسجداً ، فهو أمر كشف عنه البكري بقوله : " وإنما كان السبب تهود ملك الخزر ، وكان مجوسياً ، إنه تنصر فرأى فساد ما هو عليه ، فأخذ فيما غمه من ذلك مع بعض مرازبته ، فقال له : أيها الملك : إن أصحاب الكتب ثلاث طوائف ، فأرسل إليهم و استخبر أمرهم ، واتبع صاحب الحق منهم، فأرسل إلى النصارى في أسقف ، وكان عنده رجل من اليهود ذو جدال فناظره ، فقال له : ما تقول في موسى بن عمران و التوراة المنزلة عليه ؟ قال له : موسى نبي و التوراة حق، فقال اليهودي للملك : أيها الملك قد أقر بحقيقة ما أنا عليه ، فسله عما يعتقد ، فسأله الملك فقال له : أقول إن المسيح عيسى بن مريم هو الكلمة ، وإنه المبين عن الله عز وجل بالسرائر ، فقال اليهودي لملك الخزر ، إنه يدعى دعوى لا أعلمها و هو مقر بما عندي ، فلم يكن للأسقف كبير حجة ، وأرسل إلى المسلمين فأرسلوا إليه رجلاً عالماً عاقلاً عارفاً ، بالجدل ، فدسَّ اليهودي عليه من سمَّه في طريقه فمات ، فاستمال اليهودي الملك إلى ملَّته فتهوَّد " [42] .

- مراسيم دفن الملك

من المشاهدات التي أثارت انتباه الرحالة مراسيم الدن عند الخزر ، حيث كانت هنالك مراسيم خاصة لكل فئة من فئات المجتمع فمراسيم الدفن الخاصة بالملك ،تختلف عن من هو ادنى منه فقد، لنقف عن ما جاء في مراسيم دفن الملك على لسان ابن فضلان : " ورسم الملك الأكبر إذا مات أن يبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتاً ، و يحفر له في كل بيت منها قبر ، وتكسَّر الحجارة حتى تصير مثل الكحل ، و تفرش فيه ، و تطرح النورة فوق ذلك ، وتحت الدار نهر ، والنهر نهر كبير يجري ، ويجعلون القبر فوق ذلك النهر ، ويقولون : " حتى لا يصل إليه شيطان و لا إنسان و لا دود و لا هوام ، و إذا دفن ضُربت أعناقُ الذين يدفنونه حتى لا يدري أين قبره من تلك البيوت، و يسمى قبره الجنة ، و يقولون : قد دخل الجنة، وتفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب "[43] .

ولم يذكر لنا ابن فضلان المراسيم المتبعة بعد موت الملك عندما يتجاوز حكمه الأربعين سنة أو أثناء حكمه ، لأن بعد تجاوز حكمه الأربعين سنة كان يتم قتله من قبل خاصته [44] .

ثامنا - المعتقدات الدينية لقبائل البرداس (البرطاس):

أما المعتقدات الدينية لقبائل البرداس فتفيد المصادر إنهم كانوا على دين شبيه بدين قبائل الأتراك الغزية ([45])، فهم كما يقول ابن الفقيه ([46]) ينتسبون بدينهم إلى عالم الترك والى الغز بوجه أدق، ولعلهم (المؤرخين) يقصدون من ذلك إنهم كانوا على الدين الإسلامي الذي كان منتشراً عند فريق من قبائل الغز يعرفون بالتركمانية، فالبرداس كما يذكر الحموي ([47]) : مسلمون ولهم مسجد جامع، وهذا ما يذكره القزويني

---

[39]– صورة الأرض- ص290.

[40] - المصدر نفسه - ص290 – الاصطخري – المسالك والممالك - ص129- ياقوت - معجم البلدان - مج2 – ج3- ص232، - الحميري – الروض المعطار – ص218.

[41] - الأعلاق النفيسة - ص139 .

[42] - المسالك و الممالك- م2 - ص25 .

[43]– رسالة ابن فضلان - ص170، ياقوت - معجم البلدان - مج2 – ج3- ص232.

[44] - رسالة ابن فضلان - ص171 ، ياقوت - معجم البلدان - م2 - ج3 - ص232 .

[45]- البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص 25؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص 140 ؛الحميري ، الروض المطار في خبر الأقطار ، ص 88 .

[46]- أبو عبد الله الحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت 365هـ) ، البلدان، تح. يوسف الهادي ،ها معالم الكتب ، بيروت 1416هـ / 1996م ص 36.

[47]- معجم البلدان ، ج1 ص 384.

([48]) أيضاً ، كما نجد الحميري ([49]) يشير إليهم بالقول : وكانوا مسلمين ولهم مساجد وجوامع ، وهذه الإشارات تدل على غلبة الدين الإسلامي عند قبائل البرداس ، وان وجدت بعض الديانات الأخرى فوجودها ضئيل جداً ، إذ كان عدد المسلمين في بعض الروايات عشرة آلاف مسلم ([50]) وفي رواية أخرى ذكرها الحميري ([51]) يتضاعف العدد إلى عشرين ألف مسلم ، ومها كان عددهم عشرة آلاف أو عشرين ألفا فهذه ارقام تدل على الانتشار الواسع للإسلام في بلاد تلك القبائل الذي وصل إليها الإسلام عن طريق الصلات التجارية بين أهل البرداس والعالم الإسلامي المحيط بهم ([52]).

تاسعاً- المعتقدات الدينية لقبائل الخرلخية :

لم تمدنا المصادر والمراجع المتوفرة بين أيدينا بمعلومات وافية عن المعتقدات الدينية لقبائل الأتراك الخرلخية سوى روايتان يتيمتان ذكرهما ياقوت الحموي ([53])، والقزويني ([54]) ، وتلك الروايتان لا تختلفان عن بعضهما البعض إذ ذكر كل منهما إن للخرلخ بيت عبادة في حيطانه صور المتقدمي ملوكهم ، والبيت هذا من الخشب لا تأكله النار، ونستطيع أن نستنتج من ذلك إن المعتقدات الدينية السائدة لدى قبائل الأتراك الخرلخية كانت معتقدات وثنية تؤمن بقداسة الأشخاص وأكابر القوم ، وهنا لا بد من الإشارة إلى ان تلك المعتقدات لم تكن حصرا على قبائل الخرلخ وحدها ، فقد كانت منتشرة عند جميع قبائل الأتراك ، فعلى سبيل المثال كانت قبائل الأتراك الغزية وكما بينا سابقا في الحديث عن معتقداتها تعتقد وتؤمن بقداسة الأشخاص وأكابر القوم ، لذا فتلك المعتقدات كانت منتشرة في بلاد الترك قبل معرفتهم بالدين الإسلامي .

عاشراً- المعتقدات الدينية لقبائل الكيماك :

أن قبائل الكيماك كانوا كغيرهم من قبائل الأتراك الأخرى يدينون بالمعتقدات الوثنية ويؤمنون بقدسية الظواهر الطبيعية المحيطة بهم ، فهم ((مجوس) يعبدون النيران وفيهم زنادقة)) ([55]) ، وكذلك كان فيهم جماعة أخرى آمنت بقدسية نهر ارتش ([56]) إذ كانوا يعظمون ذلك النهر ويسجدون له ويقولون : ان هذا النهر هو اله الكيماك ([57]) ، كما أمنت قبائل الكيماك أيضا بعبادة الشمس وقدسيتها ([58]) وأشار الإدريسي ([59]) إلى إن أهل الكيماك كانوا يدينون بدين الصابئيين ويعبدون الشمس والملائكة.

يتبين مما تقدم إن قبائل الترك الكيماك كانوا متمذهبون بمذاهب شتى ومعتقدات عديدة ؛ إلا إن الصفة العامة على معتقدات تلك الأقوام هي المعتقدات الوثنية والعبادات الطوطمية وتقديس الظواهر المحيطة بهم .

الحادي عشر - المعتقدات الدينية لقبائل البجناك :

أما المعتقدات الدينية لقبائل الأتراك البجناكية فقد ذكر ابن سعيد الأندلسي ([60]) إنهم كفار لا يدخل إليهم احد إلا قتلوه ويذكر البكري ([61]) أيضاً إنهم كانوا على دين المجوسية في أول أمرهم ولم يدخل الإسلام بلادهم إلا في سنة أربعمائة للهجرة عن طريق رجل من المسلمين استطاعوا أسره ، فعرض على بعضهم الإسلام فأسلموا واخذ الإسلام ينتشر بينهم منذ ذلك الوقت ، وقد أشار احد الباحثين ([62]) إلى وجود اعدد كبيرة من المسلمين في بلاد البجناك منذ مطالع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي واستدل من خلال ذلك على عظمة الفتوحات الإسلامية التي وصلت إلى مناطق نائية من العالم ومنها أوربا ، وعن طريقها وصل الإسلام تلك القبائل

على أية حال . سواء أكان الإسلام وصل بلاد البجناك في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أو القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فأن ذلك يدل على سعة انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة بما في ذلك بلاد ما وراء النهر التي كانت تعد الموطن الأصلي لقبائل الترك .

الثاني عشر - مشاهدات الرحالة في بلاد المجغرية :

من المشاهدات التي سجلها ابن فضلان في هذه البلاد هي " أنهم شر الاتراك وأقذرهم ، وأشدهم إقداماً على

---

[48]- القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد ، ص 239

[49]- الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 89

[50]- ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 384

[51]- الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 89

[52]- السياح ، الوريا في كتب البندائيين العرب والمسلمون ، ص 322

[53]- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 443

[54]- القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 240

[55]- الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج2 ، ص 954

([56])لم نعثر له على ترجمة فيما توفر من مصادر

([57])الكرديزي ، زين الأخبار ، ص 373

([58])ابن الوردي . سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (852هـ/1448م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح. أنور محمد زناتي ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1428هـ/2008م ، ص 164 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 56

([59]) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج2 ، ص 954

([60])ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت 1685/286 أمام الجغرافيا الحمد إسماعيل المغربي المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت دارت ، ص 12

([61])المسالك والممالك ، ج2 ، ص 23

([62])المياح عبد الرحمن رنك شجار أوربا في كتب البلدانيين العرب المسلمين دراسة في الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية في أهـ / قلم 14م عطا دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، 2008 ، ص 324-323 .

القتل ، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقّرر هامتَه ، ويأخذها، ويتركه " [63]

ومن مشاهداته أنهم " يحلقون لحاهم ، ويأكلون القملَ ، يتتبع الواحد منهم درزَ قرطقه ، فيقرض القمل بأسنانه ، ولقد كان معنا منهم واحد قد أسلم ، وكان يخدمنا فرأيته وجد قملة في ثوبه، فقصعها بظفره ، ثم لحسها ؛ وقال لما رآني : جيد !" [64].

ومن مشاهداته في هذه المملكة " وكل واحد منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل ويعلقها عليه ، فإذا أراد سفراً أو لقاء عدو قبلها ، وسجد لها ، وقال : يارب أفعل بي كذا وكذا ، فقلت للترجمان : سلْ بعضهم ما حجتهم في هذا ، ولم جعله ربه ؟؟، قال: لأني خرجت من مثله فلست ألنفسي خالقاً غيره " [65]

من مشاهداته أن بعضهم " من يزعم أنَّله اثني عشر ربًّا: للشتاء رب، وللصيف رب ، للمطر رب ، و للريح رب، وللشجر رب ، وللناس رب ، وللدواب رب ، وللماء رب ، ولليل رب ، وللنهار رب ، ، وللموت رب ، وللأرض رب ، والرب الذي في السماء أكبرهم ؛ إلا أنه يجتمع مع هؤلاء باتفاق ، ويرضى كل واحد منهم بما يعمل شريكه ، تعالى الله عما يقولون الظالمون علواً كبير " [66]

ومن مشاهداته قوله : " ورأينا طائفةً منهم تعبد الحيات ، وطائفة تعبد السمك ، وطائفة تعبد الكراكي* ، فعرفوني أنهم كانوا يحاربون قوماً من أعدائهم فهزموهم ، وأن الكراكي صاحت وراءهم ففزعوا وانهزموا ، بعدما هزموا ، فعبدوا الكراكيَّ لذلك ،وقالوا : هذه ربنا وهذه فعالاته، هزم أعداءَنا ، فهم يعبدونها لذلك " [67] .

الرابع عشر – مملكة بجا :

من مشاهدات الرحالة لهذه البلاد ما ورد على لسان القزويني قوله فيهم " وهم من الأقوام الترك ، بلادهم مسيرة شهر ،وهم مشركون يسجدون لملكهم ويؤدون الإتاوة إلى الطحطاح؛(ضريبة) ،ويعظمون البقر ولا يأكلونها تعظيماًلها ، وبلادهم كثيرة العنب والتين والزعرور الأسود، وفيها ضرب من الشجر لا تأكله النار [68] .

ولهم أصنام من ذلك الخشب ، يأخذون الطرقيون من النصارى ذلك الخشب ، ويزعمون أنه من الجذع الذي صلب عليه عيسى " .[69]

الخامس عشر – مملكة بغراج

وذكر عن هؤلاء " أنهم قوم من الأتراك لهم أسبلة بغير لحى ، مساحة بلادهم مسيرة شهر وهم مسلمون لهم ملك عظيم القدر ذكر انه علوي من ولد يحيى بن زيد ، وعندهم مصحف مذهب على ظهره أبيات في مرثية زيد ، وهم يقدسون ذلك المصحف ، وفي اعتقادهم إن زيد هو ملك العرب ، والأمام علي بن أبي طالب ( ) هو إله العرب ، ولا يملكون احد إلا من نسل ذلك العلوي .[70]

ولهم معتقدات منها " أذا استقبلوا السماء فتحوا أفواههم وشخصوا أبصارهم ويقولون : إن اله العرب ينزل منها ويصد إليها ، ومعجزة هؤلاء الملوك الذين هم من نسل زيد طول اللحية ، وقيام الأنف ، وسعة العين ".[71]

السادس عشر – مملكة تاتار

سكن هؤلاء شرق الإقليم السادس ، وهم أكثر الترك تمييزاً .[72]

ومن صفاتهم أنهم " أشبه بالسباع في قسوة القلب وفظاظة الخلق وصلابة البدن ، وغلظ الطبع وحبهم للخصومات وسفك الدماء وتعذيب الحيوان ... " [73]

أما ديانتهم" فليسوا منها في شيء وليس عندهم حل ولا حرمة ، يأكلون كل شيء وجده ، ويسجدون للشمس ويسمونها إلهاً " [74] ، وهذا يعني انهم أقوام مشركة جهلة أشبه بالبهائم .

السابع عشر – مملكة التغزغز

وهم من أقوام الترك ، مساحة بلادهم مسيرة عشرين يوماً .[75] ، لا يوجد مكان يتعبدون فيه ، ولكن عندهم مكانة لخيولهم وهم يعظمونها ويحسنون القيام عليها ، ويأكلون المذكى وغير المذكى (المذبوح وغير المذبوح)[76]، يلبسون القطن واللبود[77].

وفيما يخص أعيادهم وطربهم، فكان عند ظهور قوس قزح حيث يفرحون به فرحاً عظيماً[78] .

وكان لملكهم حظوة عندهم وهو عظيم الشأن ، وكانت له خيمة على أعلى قصره من ذهب ، تتسع

---

63 – رسالة ابن فضلان – ص107- 108
64 - المصدر نفسه – ص108
65 - المصدر نفسه – ص108
66 - المصدر نفسه – ص 108 – 109
- ياقوت – معجم البلدان – مج 1- ج1- ص257.
*** الكركي – طائر يقرب من الوز ،أبتر الذنب ، رمادي اللون ، يأوي الماء أحياناً، جمعه كراكي . انظر – الدهان – رسالة ابن فضلان – ص هامش 109.**
67 - ابن فضلان – رسالة ابن فضلان – ص109.
68 – أثار لبلاد – ص 580.
69 - القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد – ص 580 .
70 - المصدر نفسه – ص580.
71 - القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد – ص580.
72 - المصدر نفسه – ص580.
73 - المصدر نفسه – ص581.
74 - المصدر نفسه – ص581.
75 - المصدر نفسه – ص582.
76 - المصدر نفسه - ص582.
77 - المصدر نفسه – ص582.
78 - المصدر نفسه – ص 582.

للألف إنسان ترى من خمس فراسخ وبها حجر الدم ، وهو حجر إذا علق على انس كصاحب الرعاف آو غيره ينقطع دمه . [79]

الثامن عشر – مملكة جكل

وهم من أقوام الترك مساحة بلادهم مسيرة أربعون يوماً ، وبلادهم آمنة ساكنة .[80]

- ديانتهم

الغالبة عليها الشرك ،" فهم يعبدون سهيلاً والجوزاء وبنات نعش، ويسمّون الشعرى اليمانية رب الأرباب " .[81]

ومع ذلك ففيهم من هو على دين النصرانية " [82].

- مشاهدات الرحالة لبلادهم

من الأمور الذي لاحظها الرحالة عن هؤلاء هي

" تزويج الرجل منهم بابنته وأخته وسائر محارمه ، وليسوا مجوساً لكن هذا مذهبهم " [83] .

وتحتوي بلادهم على حجر الفادزهر [84]،وكانوا شعباً بغير ملك (لا ملك لهم)[85] ،وهم يسكنون بيوت تبنى بالخشب والعظام . [86]

التاسع عشر – مملكة خرخيز :

وهم من أقوام الترك، مساحة بلادهم مسيرة شهر . [87]

كان لملكهم سطوة عليهم فهو مطاع عندهم وهو يدير مصالحهم ، لاستقبل بين يديه إلا إذا تجاوز عمر الأربعين . [88]

لهم ثلاث أعياد في السنة ، ولهم أعلام خضر ينشرونها في الأعياد . [89]

إما ديانتهم فكانوا مشركين حيث أنهم يعظمون زحل والزهرة ويتطيرون بالمريخ [90] ، وكان كلامهم موزون يتكلمون به في صلاتهم ، ويصلون الى جانب الجنوب ، ولهم بيت عبادة وقلم يكتبون به . [91]

عشرون - مملكة الخرلخ :

قوم من الترك ، مساحة البلاد مسيرة خمسة وعشرين يوماً [92] .

وعن عبادتهم " فكان لهم بيت عبادة في حيطانه صور معلقة عليها صور ملوكهم السابقين ، وهذا البيت كان مبني من الخشب الذي لا تأكله النار وهو كثير في بلادهم .. ولهم حجر اخضر يعظمونه ويذبحون له الذبائح تقرباً إليه ". [93]

احدى وعشرون - بلاد السرير

- الموقع

يضعها ابن سعيد في الجزء الخامس من شمالي الإقليم السبع وتحديداً خلف هذا الإقليم " أول ما يلقاك في جنوبه ، مدينة السرير ، وهي قاعدة بلاد السرير " [94].

وجاء عن ابن رسته في موقع مملكة السرير قوله : " ثم تصعد جبلاً شامخاً وأودية فتسير مسيرة ثلاثة أيام حتى تنتهي إلى قلعة الملك وهي قلعة على رأس جبل أربعة فراسخ في أربعة فراسخ ويحيط بها سور من حجارة " [95]

- السكان

كانوا خليط من عرب وترك[96].

- الديانة

أما عن ديانتهم فالذين يسكنون مع الملك في قلعته " عامتهم نصارى ، وباقي أهل المملكة كلهم كفّار " [97] ؛ أي وثنيون ، "وكلهم يعبدون رأس يابسا" . [98]

المبحث الثاني - المعتقدات الدينية للقبائل الأوروبية

أولاً - بلاد روما :

تمثل روما عاصمة بلاد أوروبا ومرجعها الديني لما تشكله من أهمية كبرى على المستوى الديني والسياسي وينقل لنا الرحالة الجعرافيين بعض من الممارسات والفعاليات والطقوس تلك البلاد جاء عنها :

و كان من شروط العمل كرجل دين أنه لابد من إخصاء الشخص ليتفرغ لهذا العمل بعيداً عن الشهوات ، وقد نقلت لنا الحالة عن هذا الأمر : " ومن عاداتهم إخصاء أولادهم ليكونوا من سدنة بيوت عباداتهم لكنهم لا يتعرضون للقضيب و يحدثون الخصي بالأنثيين ، لأنهم كرهوا لرهبانهم أحبال نسائهم ، و أما قضاء الوطر فلا يكرهونه وقيل : إن الخصي يبلغ في ذلك مبلغا لا يبلغه الفحول لأنه يستحلب لفرط المداومة جميع

---

79 - القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد – ص582.
80 - المصدر نفسه – ص582.
81- المصدر نفسه – ص582.
82 - المصدر نفسه – ص582.
83 - المصدر نفسه – ص582.
84 - المصدر نفسه – ص582.
85 - المصدر نفسه – ص582.
86 - المصدر نفسه – ص582.
87 - المصدر نفسه – ص583
88 - المصدر نفسه – ص583
89 - القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد – ص583
90 - المصدر نفسه – ص583.
91 - المصدر نفسه – ص583.
92 - المصدر نفسه – ص584.
93 - المصدر نفسه – ص584.
94 - ابن سعيد – الجغرافيا – ص 83
95 – الأعلاق النفيسة- 148
- الإدريسي – نزهة المشتاق – ج2- ص 835
96 - ابن سعيد – الجغرافيا – ص 83.
97 - المصدر نفسه – ص147.
- ابن حوقل – صورة الأرض- ص 294.
98 - المصدر نفسه – ص147 .

ما عند المرأة و لا يفتر، فإذا تزوج أحدهم و أراد الزفاف ، تحمل المرأة إلى القس حتى يكون القس مفترعها و ينالها بركته(أي دخل بها قبل زوجها) ، والزوج أيضاً يمشي معها ليعلم أن إلا فتضاض حصل بفعل القس! " [99] .

ذكر لنا البكري ما شاهده من عادات أهل روما فجاء عنه :" وهم لا يرون الغسل من الجنابة و لا وضوء عندهم للصلاة ، إنما عبادتهم النية ، و لا يأخذون القربان حتى يقولوا : هذا لحمك و دمك ، يريدون المسيح ، وليس بخمر و لا خبز ، والسكر عندهم حرام ، و لا يتكلم أحد إذا أخذ القربان حتى يغسل فمه و إذا تقربوا قبَّل بعضهم بعضاً و تعانقوا . و لا يتزوج أحد منهم أكثر من امرأة واحدة ، و لا يتسرَّى عليها ، فإذا زنت باعها ، وليس لهم طلاق و يورثون النساء جزاءين و الذكور جزءاً ، ومن سننهم ألا يلبس الخفاف الحمر إلا ملك و هم يخففون في الحكم على الشريف ، و يثقلون على الوضيع ، حتى يبلغ به البيع . ومن أحكامهم أن من زنى بأمة غيره فلا شيء عليه إذا زنى بها خارج الدار كأنه لم يأت بريبة ، وإن زنى بها في دار سيدها فعليه حد معروف ، ومن أولد عندهم أمة فولده زنيم ، و لا يجوز لذلك الولد عندهم رتبة القسيسة ، ولا يرث أباه ، إذا كان له ولد من حرة ، وولد الحرة يحيط بميراثه وإن لم يكن له ولد غير ولد الأمة ورثه و هم يفطرون في صومهم في كل جمعة يومين ، وهما يوم السبت و يوم الأحد ، وأمر الصوم عندهم خفيف ليس بشديد اللزوم ، وإنما أصله عندهم الصوم الذي صامه المسيح ، بزعمهم إستدفاعاً لإبليس ، وكان صومه أربعين يوماً كاملاً موصولة بلياليها في قولهم ، وهم يصومون يوماً كاملاً ولا ليلة كاملة ، ومن كان بين المسلمين منهم يؤخر الفطر حياء منهم و هم في موضع مملكتهم لا يصومون إلا نصف النهار أو نحوه ... " [100] .

- عادات الدفن

- عادات الدفن عند أهل روما

ومن عاداتهم " ... إنهم لا يدفنون موتاهم ، وإنما يُدخلونهم في مغائر و يتركونهم فيها فيستوبئ هواؤهم و يقع الذباب على الموتى ثم يقع على ثمارهم فيُفسدها ، و لذلك هم أكثر بلاد الله تعاني طواعين ، حتى إن الطاعون يقع فيها و لا يتعداها إلى غيرها فوق عشرين ميلاً ... " [101] .

ثانياً -عادات بلاد الفرنجة (فرنسا) :

- عاداتهم الاجتماعية وطبائعهم

تحدث لنا الحميري عن بعض عادات الإفرنجة بقوله : " و لا يكاد يرى ببلاد إفرنجه مزمن و لا ذو عاهة ، و الزنا في غير ذوات الأزواج عند الإفرنج غير منكر ، وإذا حلف أميرهم أو كبيرهم حانثاً استهانوه ؛ (أي احتقروه) و لم يزالوا يعيرونه بذلك ، وأبناء الأشراف عندهم يسترضعون في الأباعد ، و لا يعرف الابن أبويه حتى يعقل ، وإذا عقل رد إليهما ، فيراهما كالسيدين و يكون لهما كالعبد ... " . [102]

وجاء من طبائعهم انهم " ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة ، يكون الرجل منهم يمشي هو وأمرأته يلقاه رجل أخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ، ويتحدث معها ، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث ، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى " [103] وقد روى ابن منقذ رويات عن هذا الأمر .[104]

ثانياً - المعتقدات الدينية لقبائل الصقالبة البلغار :

اختلفت المعتقدات الدينية للقبائل الصقالبة البلغار، فقد انتشرت في بلادهم المعتقدات الوثنية والعيادات الطوطمية إضافة العبادة الأديان السماوية (المسيحية والإسلام)) فالصقالبة كما يصفهم المروزي ([105]) كانوا يحرقون موتاهم ، لأنهم عبدة النيران ، وهم كلهم كما يقول ابن رسته ([106]) عبدة النيران ، أما الكرديري([107]) فقد ذكر إنهم كانوا يعبدون البقر ويقدسونه.

تستنتج من تلك النصوص والروايات أن أهل الصقالبة البلغار كانت بلادهم مواطن للمعتقدات الوطنية وعيادة المظاهر الطبيعية ، اذ كانت قبائل الصقالبة ينتمون إلى دين الصابئة ويعبدون الأصنام ، ثم افترقوا بعد ذلك فتباينت أديانهم ([108]) .

فأصبحوا كما يقول المسعودي) ([109]) أجناس كثيرة، وأنواع واسعة، فمنهم من ينقاد إلى دين النصرانية ، ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة، وهم جاهلية لا يعرفون شيئاً من الشرائع.

إن هذا الوصف الدقيق كان على الأعم الأرجح خاص بمعتقدات قبائل بلغار الدانوب الذين كانوا وتليين ثم تحقيق قيق ولوا إلى النصرانية في حدود سنة 253هـ / 804 م ، أما بلغار الفولغا فقد كان عضهم وتنيين

---

99 - القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد - **ص587**

100 - **المسالك و الممالك - م2 - ص49-50**

101 - **القلقشندي - صبح الأعشى - ج5 - ص407 - الحميري - الروض المعطار - ص275 .**

102 - **الحميري - الروض المعطار- ص50.**

103- **ابن منقذ - الاعتبار – ص 134-135.**

104- **المصدر نفسه – ص 136-137 .**

105- **أبواب في الصين والترك والهند ، ص 22**

106- **الاعلاق النفيسة ، ص 114.**

107- **زين الاخبار ، ص 393.**

108- ابن صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد (ت 462هـ / 1069) مطبقات الأمم نشره لويس شيخو البوسوعي المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت 1942. **ص7.**

109- مروج الذهب ومعادن الجوهر، **ج1، ص 181.**

والبعض الآخر منهم مسلمون ([110]) إذ أشار شيخ الربوة ([111]) إلى ذلك بالقول : ((ومن هؤلاء من يدين بدين النصرانية وهم ما قرب من الإفرنج، ومنهم من لا ينقاد إلى ملة ولا يرجع إلى نحلة وهم ما توغل في الشمال ودنا من البحر المحيط، وهؤلاء يحرقون ملوكهم إذا مانوا ويحرقون معهم عبيدهم، وإماءهم، ونساءهم ومن كان خاصاً بهم كالكاتب الوزير، والنديم، والطبيب)) أما بداية معرفة الصقالية البلغار بالدين الإسلامي فلا تذكر المصادر ذلك ، ولكن يظهر إن أهل الصقالية البلغار كان لهم معرفة بالإسلام قبل فترات طويلة من رحلة ابن فضلان ترجع إلى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، وربما ترجع لفترة الفتوح الإسلامية لبلاد المشرق على الأعم الأرجح حيث كان للتجار والسفراء العرب كما يقول احد الباحثين ([112]) تاثير واضح على مملكة الصقالية البلغار القائمة على المجرى المتوسط لنهر الفولغا بنشرهم دين الإسلام .

- أعرافهم القضائية

جاء عن بعض الأعراف التي أصبحت بمثابة قوانين يتعامل بها الناس هناك فجاء عن بعض أعرافهم ، " إن أحدهم إذا شهد على الآخر بالنفاق يمتحنان بالسيف ، وذلك بأن يخرج الرجلان الشاهد و المشهود عليه بإخوتهما و عشيرتهما ، فيعطى كل واحد سيفين يشد أحدهما في وسطه و يأخذ الآخر بيده، و يحلف الذي نسب إليه النفاق إنه بريء مما رمى به بالأيمان المعتبرة عندهم ، و يحلف الآخر أن الذي قال فيه حق ، ثم يسجد كل واحد على بعد من صاحبه نحو المشرق ، ثم يبرز كل واحد إلى صحابه و يتقاتلان حتى يقتل أحدهما أو ينقاد" ([113]) .

ومن عاداتهم وأعرافهم الأخرى :

- محنة النار

وهي " ... إذا أُتهم أحد بالمال أو الدم تؤخذ حديدة تُحمى بالنار ، و يقرأ عليها شيء من التوراة و شيء من الإنجيل و يُثبت في الأرض عودان قائمان ، وتؤخذ الحديدة بالكلبتين من النار وتُنزّل على طرفي العودين ، فيأتي المتهم و يغسل يديه و يأخذ الحديدة و يمشي بها ثلاث خطوات ثم يلقيها و يربط يده برباط ، و يختم عليه و يوكل به يوماً و ليلة ، فإن وجد به في اليوم الثالث نفاطة يخرج منها الماء فهو مجرم ، و إلاّ فهو بريء " ([114]) .

- محنة الماء

" وهي أن المتّهم تربط يداه و رجلاه و يشد في حبل ، و القسيس يمشي به إلى ماء كثير يلقيه فيه . و هو يمسك الحبل ، فإن طفا فهو مجرم ، و إن رسب فهو بريء بزعمهم أن الماء قبله . ولا يمتحنون بالماء و النار إلا العبيد . و أما الأحرار فإن اتهموا بمال أقلّ من خمسة دنانير يبرز الرجلان بالعصا و الترس ، فيتضاربان حتى ينقاد أحدهما ، فإن كان أحد الخصمين امرأة أو أشل أو يهوديّاً ، يقيم عن نفسه بخمسة دنانير ، فإن وقع المتّهم فلابد من صلبه و أخذ جميع ماله ، و يعطي المبارز من ماله عشرة دنانير " ([115]) .

ومن عاداتهم الاجتماعية الأخرى يتساوى أغنياهم مع فقراءهم في موسم الأعياد ، كلاً حسب قدرته جاء في هذا الأمر : " ومن عاداتهم الخروج في أعيادهم بالشعانين و السباسب والزنج بالزينة للهو والطرب و المأكول و المشروب ، صغيرهم و كبيرهم و فقيرهم و غنيهم على قدر مكنته و قدرته " ([116]) .

ومن عاداتهم و خاصة في أحد أصناف الصقالبة و يدعى سرنين و هو من أهيب أصنافهم ، فكانوا" يحرقون أنفسهم بالنار إذا مات رئيسهم ، و يحرقون دوابهم و لهم أفعال مثل أفعال الهند ، وهم يتصلون بالشرق و يبتعدون من الغرب ، وهم يطربون و يفرحون عند حرق الميت ، و يزعمون إن سرورهم وأطرابهم لرحمة ربه إياه ، ونساء الميت يقطعن أيديهن ووجوههن بالسكاكين ، وإذا زعمت واحدة منهن أنها محبة له ، علقت حبلاً وارتقت إليه على كرسي فتشتد به في عنقها ، ثم يجذب الكرسي من تحتها فتبقى معلقة تضطرب حتى تموت ثم تحرق و تلحق بزوجها " ([117]) .

وعن طريقة دفن الموتى عند الصقالبة جاء عنه " و إذا مات المسلم عندهم أو زوج المرأة الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين ، ثم حملوه على عجلة تجره (واذا كان حراً حمله) ، وبين يديه مطرد حتى يصيروا به إلى المكان الذي يدفنونه فيه ، فإذا صار إليه أخذوه عن العجلة و جعلوه على الأرض ، ثم خطّوا حوله خطّاً

---

[110]- ما هي، إخلاص عيسى ، الحياة الاجتماعية في منطقة نهر الفولغا ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد ، 2007م ، ص 165.

[111]- شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله طالب الأنصاري ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1998م ، 261.

[112]- الجميل سيار، التكوينات التاريخية لجمهوريات اسيا الوسطى ، بحث نشر في مجلة لمستقبل العربي ، الموصل ، د. ت ، ص 49.

[113] - القزويني - آثار البلاد - ص611

[114] - القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد – **ص611**

[115]- المصدر نفسه – ص611

[116]- المصدر نفسه - ص587

[117] - البكري – المسالك والممالك – م1- ص157.

، و نحَّوه ، ثم حفروا داخل ذلك الخط قبره ، وجعلوا له لحداً ، ودفنوه و كذلك يفعلون بموتاهم " [118] .

ويكمل ابن فضلان سرد هذه المشاهد بقوله : " و لا تبكي النساء على الميت ، بل الرجال منهم يبكون عليه ، يجيئون في اليوم الذي مات فيه ، فيقفون على باب قبته فيضجوّن بأقبح بكاء يكون و أوحشه . هؤلاء للأحرار ، فإذا انقضى بكاؤهم ، وافى العبيد ومعهم جلود مضفورة فلا يزالون يبكون و يضربون جنوبهم (وهو شق الإنسان) ، وما ظهر من أبدانهم بتلك السُّيور ، حتى تصير في أجسادهم مثل ضرب السّوط ،ولابد من أن ينصبوا بباب قبته مطرداً ، و يحضرون سلاحه فيجعلونها حول قبره ، ولا يقطعون البكاء سنتين . فإذا انقضت السنتان حطّوا المطرد ، وأخذوا من شعورهم ، ودعا أقرباء الميت دعوة يعرف بها خروجهم من الحزن ، وإن كانت له زوجة تزوّجت ، هذا إذا كان من الرؤساء ، فأما العامة فيفعلون بعض هذا بموتاهم " [119] .

ثالثاً- المعتقدات الدينية لقبائل الباشتغرد

قبائل الباشغرد كانوا يسكنون في الجهة الغربية من جبال الاورال - وصفهم ابن فضلان [120] في رسالته قائلاً :" اسهم شر الاتراك و أقذرهم وأشدهم إقداماً على القتال .... وكانوا يدينون بالديانة الوثنية، ويقدسون الظواهر الطبيعية ويعبدون الحيوانات قال ابن فضلان [121] : لو وكل واحد منهم ينحت خيبة على قدر الإحليل ويعلقها عليه فإذا أراد سفراً أو لقاء عدو قبلها ، وسجد لها، وقال : " يارب افعال بى كذا وكذا " ... ومنهم من يزعم أن له اثنه عشر ربا : للشتاء رب وللصيف رب، وللمطر رب ، و للريح رباه والشجر رب، وللناس رب، وللد و ان رب ، وللماء رب ، ولليل رياء والنهار رب ، وللموت رب : وللأن ضارب . والرب الذي في السماء أكبرهم ... ورأينا طائفة منهم تعدد الحيات ، وطائفة تعبد لسمك ، وطائفة بعد الكراكي (طائر) .

ثالثاً - المعتقدات الدينية لقبائل الروسية :

إن قبائل الروس كانوا كغيرهم من قبائل الأتراك الأخرى وثنيون يعبدون الأصنام والأوثان ويعتقدون بقدسيتها فهم امة عظيمة جاهلية لا تنقاد إلى ملك ولا إلى شريعة)) [122] وقبائل الأتراك الروسية كما يصفها البكري [123] ((امة مجوسية)) .

وقد أشار ابن فضلان [124] المعتقدات تجار هذه القبائل الوثنية ، فذكر إنهم كانوا يسجدون الأصنام وأوثان من خشب موضوعة في أماكن بيع بضائعهم، يعتقدون بتأثيرها على تجارتهم ، فإذا ما أتى التاجر لبيع بضاعته بادر إلى تلك الصور وسعد إمامها وقدم هدية لها ثم ذكر بضاعته كلها فإذا تيسر أمره وباع بضاعته كان بها، وان لم يتيسر بيعها ظل يتردد إلى تلك الأصنام حتى يتم بيع جميع بضاعته ، إلا إن تلك المعتقدات بدأت تتغير شيئا فشيئا واحد الروس يتطلعون الديانة أخرى وهي الديانة المسيحية فتنصروا أوائل سنة 300 للهجرة [125] إذ أشار لذلك شيخ الربوة [126] قائلاً :

((وكانوا يدينون بالمجوسية ، ثم تنصروا، وهم يحرفون بالنار موتاهم : إلا إن إتباعهم الديانة المسيحية حرمهم الكثير من الامتيازات ، إذ احمد الدين سيوفهم وانسدت بوجوههم أبواب الرزق الذي اعتادوا على كسبه عن طريق غزو البلدان المجاورة لهم فرغبوا بالدين الإسلامي ليباح لهم الغزو والجهاد فأرسلوا وفداً من أربعة أشخاص من أقرباء خاقاتهم لبلاد المسلمين خوارزم ، فسر بذلك امير خوارزم وأرسل لهم من علمهم شرائع الدين الإسلامي ومبادئه [127] .

هكذا بدأ الإسلام ينتشر في بلاد الأتراك الروسية منذ ذلك الوقت واخذ المسلمون يزدادون

هناك شيئا فشيئا . يتبين مما تقدم إن المعتقدات الدينية لقبائل الأتراك الروسية كانت قد مرت بمراحل وأطوار مختلفة فمن العبادات الوثنية والمجوسية إلى الديانة المسيحية وأخيرها الإسلام الذي دخل بلادهم في مطالع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي [128] .

مشاهدات الرحالة للروس

ومن مشاهدات ابن فضلان في بلاد الروس ، حيث ينقل لنا كثيراً من عاداتهم ، لأنه كان شاهد عيان عليها ، لذلك اعتمدها كثيرُ من الرحالة و الجغرافيون سواء من العرب أو غير العرب في النقل منه مباشرة و توثيقه . فجاء عنه عن بعض أصناف الروس إنهم " ... إذا مرض منهم الواحد ، ضربوا له خيمة ناحية عنهم ، وطرحوه فيها ، وجعلوا معه شيئاً من الخبز و الماء ، و لا يقربونه ولا يكلمونه ، بل لا يتاهدونه من كل أيام مرضه لاسيما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً فإن برئ و قام رجع إليهم ، وإن مات أحرقوه ، فإن كان مملوكاً تركوه على حاله تأكله الكلاب و جوارح الطير " [129] .

ومن عاداتهم حرق رؤسائهم عند موتهم ، و قد نقل ابن فضلان تلك المشاهد بتفاصيلها جاء عنه" ... وكان يقال لي إنهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقلها الحرق فكنت أحب أن أقف على ذلك حتى

---

118 - ابن فضلان رسالة ابن فضلان، **ص143.**

119 - المصدر نفسه - **ص 143- 144**

120ا- لمصدر نفسه ، ص 107.

121- المصدر نفسه ، ص 108 - 109.

([122]) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج1، ص77.

([123]) المسالك والممالك ، ج1، ص200.

([124])) رسالة بن فضلان ، ص125-154.

([125])المروزي ، أبواب في الصين والترك والهند ، ص 23.

([126]) شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص 262.

([127])المروزي ، أبواب في الصين والترك والهند ، ص 23.

([128])المروزي ، أبواب في الصين والترك والهند ، ص 23.

129 - ابن فضلان رسالة ابن فضلان - **ص154 – 155**

بلغني موت رجل منهم جليل ، فجعلوه في قبره ، و سقفوا عليه عشرة أيام فرغوا من قطع ثيابه و خياطتها . وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ، ويجعلونه فيها و يحرقونها ، والغني يجمعون ماله ، ويجعلونه ثلاثة أثلاث ، فثلث لأهله ، وثلث يخطون له بها ثياباً، وثلث ينبذون به نبيذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها ، وتحرق مع مولاها " [130] .

ويكمل لنا ابن فضلان مشاهد هذا الحدث بقوله : " وهم مستهترون بالنبيذ يشربونه ليلاً نهاراً ، وربما مات الواحد منهم و القدح في يده . وإذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه و غلمانه : " من منكم يموت معه ؟ " فيقول بعضهم : " أنا " ، فإذا قال ذلك فقد وجب عليه لا يستوي له أن يرجع أبداً، ولو أراد ذلك ما تُرك ، وأكثر من يفعل هذا الجواري . فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه : " من يموت معه ؟ فقالت أحداهن : " أنا " ، فوكّلوا بها جاريتين تحفظانها و تكونان معها حيث سلكت ، حتى إنهما ربما غسلتا رجليها بأيديهما . وآخذو في شأنه و قطع الثياب له ، وأصلح ما يحتاج إليه ، و الجارية في كل يوم تشرب و تغني فرحة مستبشرة . فلما كان اليوم الذي يحرق فيه هو والجارية ، حضرت إلى النهر الذي فيه سفينة ، فإذا هي قد أخرجت و جعل لها أربعة أركان من خشب الخدنك و غيره ، وجعل أيضاً حولها مثل الأنابير الكبار من الخشب ، ثم مُدّت حتى جعلت على ذلك الخشب، وأقبلوا يذهبون و يجيئون و يتكلمون بكلام لا أفهمه ، و هو بعد في قبره لم يخرجوه . ثم جاءوا بسرير فجعلوه على سفينة و غشّوه بالمضّربات الديباج الرومي و المساند الديباج الرومي ، ثم جاءت امرأة عجوز يقولون لها ملك الموت ، ففرشت على السرير الفرش التي ذكرنا ، وهي وليت خياطته و إصلاحه ، وهي تقتل الجواري ... ضخمة مكفهرة . فلما وافوا قبره نحوا التراب عن الخشب و نحّوا الخشب ، و استخرجوه في الإزار الذي مات فيه ، فرأيته قد أسودَ لبرد البلد ، وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذاً و فاكهة و طنبوراً ، فأخرجوا جميع ذلك فإذا هو لم يتن و لم يتغير منه شيء غير لونه ، فألبسوه سراويل و راناً و خفاً و قرطقاً و خفتان ديباج له أزرار ذهب ، وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج سمّورية . وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة . وأجلسوه على المضرّبة و أسندوه بالمساند و جاءوا بالنبيذ و الفاكهة و الريحان فجعلوه معه . وجاءوا بخبز و لحم و بصل فطرحوه بين يديه ، وجاءوا بكلب فقطعوه نصفين ، وألقوه في السفينة ، ثم جاءوا بجميع سلاحه فجعلوه إلى جانبه ، ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا ، ثم قطعوهما بالسيف و ألقوا لحمها في السفينة ، ثم جاءوا ببقرتين فقطعوهما أيضاً و ألقوهما فيها . ثم أحضروا ديكاً و دجاجة فقتلوهما ، و طرحوهما فيها " [131] .

أما مصير الجارية فكانت" ذاهبة و جائية تدخل قبة قبة من قبابهم ، فيجامعها صاحب القبة ، ويقول لها : " قولي لمولاك إنما فعلت هذا من محبتك " ، فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة ، فجاءوا بالجارية إلى شيء قد عملوه مثل ملبن الباب ، فوضعت رجليها ، على أكف الرجال ، و أشرفت على ذلك الملبن ، وتكلمت بكلام لها ، فأنزلوها ، ثم أصعدوها ثانية ففعلت كفعلها في المرة الأولى ، ثم أنزلوها و أصعدوها ثالثةً فعلت فعلتها في المرتين،

ثم دفعوا إليها دجاجة فقطعت رأسها و رمت به ، و أخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة ... فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانا عليها ، ودفعتها إلى المرأة التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها ، و نزعت خلخالين كانا عليها ، و دفعتهما إلى الجاريتين كانتا تخدمانها و هما ابنتا المرأة المعروفة بملك الموت . ثم أصعودها إلى السفينة، و لم يدخلوها القبة، وجاء الرجال ومعهم التراس و الخشب و دفعوا إليها قدحاً نبيذاً فغنّت عليه و شربته ... ثم دفع إليها قدح آخر ، فأخذته و طوّلت الغناء ، والعجوز تستحثها على شربة و الدخول إلى القبة التي فيها مولاها ، فرأيتها و قد تبدلت و أرادت دخول القبة فأدخلت رأسها بينها وبين السفينة فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها القبة و دخلت معها . وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري ، و لا يطلبن الموت مع مواليهن ثم دخل إلى القبة ستة رجال فجامعوا بأسرهم الجارية ، ثم أضجعوها إلى جانب مولاها ، وأمسك اثنان رجليها و اثنان يديها . وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلاً مخالفاً ، ودفعته إلى أثنين ليجذباه ، وأقبلت ومعها خنجر عريض النصل ، فأقبلت تدخله بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت . ثم وافى أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة و أشعلها بالنار . ثم مشى القهقري نحو . قفاه إلى السفينة ووجهه إلى الناس و الخشبة المشتعلة في يده الواحدة ، ويده الأخرى على باب أستة و هو عريان حتى احرق الخشب المعبأ الذي تحت السفينة من بعدما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها . ثم وافى الناس بالخشب والحطب ، ومع كل واحدة خشبة قد ألهب رأسها ، فيلقيها في ذلك الخشب. فتأخذ النار في الحطب ، ثم في السفينة ثم في القبة و الرجل و الجارية ، و جميع ما فيها " [132] .

---

[130] - المصدر نفسه - **ص155-156**

[131] - ابن فضلان رسالة ابن فضلان - **ص156- 159**

[132] - ابن فضلان رسالة ابن فضلان - **ص159- 163**

وبعد أن تحولت السفينة إلى رماد جمعوا ذلك الرماد من النهر و جعلوه رمزاً ، يحمل أسم الملك ، و الرجل الذي ضحى من أجل الملك .

" فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة و الحطب و الجارية و المولى رماداً رمدداً . ثم بنوا على موضع السفينة ، وكانوا قد أخرجوها من النهر شبيهاً بالتل المدور ، و نصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدنك ، كتبوا عليها اسم الرجل و اسم ملك الروس ، وانصرفوا " [133] .

وكانت هذه الأفعال المستنكرة يظنها الروس أنها أسمى لأمواتهم ، وأنها طريق مختصر إلى الفردوس، وأنهم أفضل من العرب الذين يدفنون أمواتهم في التراب و هم أحباب لهم ، وقد وردت محاورة بين ابن فضلان و رجل من الروس بخصوص ذلك : " ... وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذي معي ، فسألته عما قال له فقال : " إنه يقول أنتم يا معاشر العرب حمقى " فقلت : " لم ذلك " ؟ قال : " إنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم و أكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب و تأكله التراب و الهوام و الدود ، ونحن نحرقه بالنار في لحظة ، فيدخل الجنة من وقته و ساعته " [134] .

ويقارن أحد الباحثين المحدثين هذه الصور مع أقوام أخرى كانت شائعة عندهم بقوله: "وهذه الرواية شاهد عيان حي ، بأن وجود عادة الدفن والحرق المتبعة لدى الروس القدماء وعند الصقالبة والأتراك أيضا ، وربما جاءت عادة السفينة من العالم الإسكندنافي ، وتذكر المواكب الموسيقية بعادات سويدية أو صقلبية ، أما موت المرأة الإجباري فشائع عند أمم مثل الاسقونيين والأتراك والمغول والبلغار والجرمانية والصقالبة ، ويعرف دفن الميت جالساً في أسيا الوسطى ، أما دفن أغراضه معه فشائع عند الصقالبة والبلغار والاتراك ، وقد يشابه ملكة الموت عندهم ألهة الموت الجرمانية" [135] .

(الروس) ومن مشاهدات الرحلة لهم إنهم " إذا مات الجليل منهم حفروا له قبرا مثل بيت واسع جعلوه فيه و أدخلوا معه ثياب بدنه و سواره الذي كان يلبسه من ذهب و طعاما كثيراً و أباريق شراب ومالاً صامتا أيضا ويجعلون معه في القبر امرأته التي كان يحبها و هي بعد حيَّة و يسدَّ عليها باب القبر فتموت هناك " [136] .

. الخاتمة

الخاتمة

- أعطت تلك القبائل أهمية كبيرة من حياتها لمعتقداتها الدينية وعدت جزء من حياتها اليومية .

- امتزجت تلك العقائد بالأساطير والخرافات واستوحت معظمها من الظواهر الطبيعية التي لا يستطيع البشر تفسيرها أو أدراكها ، فأستسلم لها .

- لم تكن له القدرة على تحليل الكثير من ما يدور حوله وذلك لبدائيته وانعزاله الحضاري وبعد مسافاته .

- كان الهم الوحيد لتلك القبائل الحصول على الغذاء والتوسع على حساب غيرها من القبائل ، فكان القتال ديدنها الوحيد الذي لا ينتهي

- امتزجت بعض العقائد الدينية الذي تم تسجيلها من قبل الرحالة بين الوثنية البدائية والمجوسية هذا بالنسبة للقبائل المتطرفة والنائية عن مراكز الحضارة .

- في المدن كان التطور الديني والعقائدي أكثر تطور ويعود السبب إلى احتكاكها الحضاري وتماسها بالمارة من تجار وعلاقات بين باقي المدن التي أرسلت لها الوفود لغاية دينية أو الحصول على مواد كانت تتواجد بمدنها وغيرها ، فنقلت لهم بعض ديانتها وخاصة الفارسية المجوسية ، وكذلك التجار اليهود الذين لهم الفضل في أرساء اليهودية في تلك البلدان والقبائل .

- وكان الاسلام حصة كبيرة في تلك المدن الذي نقل له بسبب التجار الذين توافدوا إلى تلك البلد من أجل الحصول على نفائس تلك البلاد والبيع ما في حوزتهم ، فكان لهم الفضل في نشر تعاليم الدين الاسلامي ، حتى طلب حاكم البلغار من خليفة بغداد ان يرسل له وفداً من المسلمين لتعليمهم أصول الإسلام لكي يدخلوا فيه وهم الى يومنا هذا ينعمون به .

- وأخيرا ، امتازت هذه القبائل بالتسامح الديني وحرية الأديان فيها ، فكانت جميع هذه الاديان موجودة سواء السماوية وغير السماوية باختلاف المذاهب في بلادهم ، ولم نجد أجبار على أتخاذ دين أو مذهب محدد .

.المراجع

- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 1610)
الكامل في التاريخ 20 مدار الكتب العلمية بيروت 1415هـ .

2- الادريسي محمد بن محمد بن عبد الله (560 هـ / 1164م) نزهة المشتاق في اختراق
الافاق ط 1 ، عالم الكتب، بيروت ، 1409هـ/ 1989م

3- الاصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (346هـ / 957)، المسالك والممالك، دار
صادر ، بيروت، 2004م

4- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (487هـ/1094 م) ، المسالك والممالك.

[133] - المصدر نفسه – ص 163 – 165
- ياقوت – معجم البلدان – م2- ج4- ص431

[134] - ابن فضلان رسالة ابن فضلان – ص 163 – 165 .

[135] - ميكيل- جغرافية دار الإسلام البشرية – ج2- ق2- ص100 .

[136] - ابن رسته - الأعلاق النفيسة - ص146.

تحقيق قيق جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1424 هـ / 2003م
5- التنوخي أبو علي المحسن بن أبي القاسم (ت 384 هجـ) ، الفرج بعد الشدة ط.
مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955مابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/ 1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط1، دار صادر ، بيروت، 1358هـ
6- ابن حبان عبد الله (ت 369هـ / 979 مـ) ، طبقات المحدثين باصبهان، تحقيق قيق عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي ، 2 مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ .
7- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 4000/1494م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار تم إحسان عباس 2 مؤسسة ناصر الثقافة بيروت 1980م
8- الخطيب البغدادي الو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ/ 1070ء) تاريخ بغداد، تحقيق قيق قيق: مصطفى عبد القادر عطا ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1417 هـ / 1997 - ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكرات 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، نح إحسان عباس دار صادر ميروت ، 1970 م
9- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله احمد بن محمد (ت 748هـ/1347م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق قيق قيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، د- ت .

10- ابن رستة أبو علي احمد بن عمر كان حيا سنة 290هـ/902م)، الاعلاق النفيسة مطبعة بريل، ليدن 1893م .
11- ابن سعيد أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي (ت 685هـ) ، الجغرافيا ، تحقيق قيق .
12- إسماعيل المغربي المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت د.ت
13- شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله طالب الأنصاري نخبة الدهر في عجائب البر والبحر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1998م
14- الصابي . ابو المحسن هلال بن المحسن بن اراهيم (ت 448هـ / 1056هـ)، تحقيق قيق فة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق قيق خليل منصور ، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، 1419هـ .
15- الصاحب بن عباد القاسم اسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني (385/995) ، المحيط في اللغة تحقيق قيق د محمد حسن آل ياسين 1 ، عالم الكتب.
-1994/ بيروت ، 1414هـ .
16- ابن صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد (ت 462هـ / 1069) مطبقات الأمم نشره لويس شيخو البوسوعي المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت 1942.
17- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ / 1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق قيق . احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ .
17- الطبري ابو جعفر محمد بن جرير (310هـ/922م) تاريخ الامم والملوك ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ .
18- ابن الطقطقي. محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر ، بيروت د. ت .
19- ابن عبد الحق. صفي الدين عبد المؤمن (ت 739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.
20- أبو الفداء. عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر (ت 732هـ)، المختصر في تاريخ البشر ، تحقيق قيق . محمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين ط1 دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .
21- ابن فضلان أحمد في فصلان ات بعد 4310/922م) رسالة بن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والجزر والروس والصفالية، تم سامي الدهان ما دار - 1993/ صادر بيروت 1413هـ .
22- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283) ، آثار البلاد وأخبار العباد . دار صادر، بيروت، د.ت.
23- القلقشندي احمد بن علي (821هـ / 1418م) صبح الأعشى في صناعة الانشاء تحقيق يوسف على الطويل من مدار الفكر دمشق ، 1987م
24- ابن كثير أبو الغداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ / 1372م)، البداية والنهاية، تحقيق دد علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1408هجـ/ 1988م .
25- الكرديري أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (443هـ / 1051هـ) زين الأخبار متر عفاف السيد زيدان 1 ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 2006م.
26- مجهول- كان حيا سنة 372هـ) ، حدود العالم من المشرق للمغرب، تحقيق يوسف الهادي 1 الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1419هـ / 1999م .
27- المروزي شرف الزمان طاهر أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان، تحقيق ف مينورسكي لندن ، 1942م.

28- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق . اسعد داغر، دار الهجرة، قم ، 1409هـ؛ أخبار الزمان ، ط2 دار الأندلس بيروت، 1385هـ / 1966م .
29- مسكويه أبو علي احمد بن محمد (ت 421هـ/ 1030م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، د. ت .
30- المقدسي محمد بن احمد (ت 380هـ / 990م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم تحقيق قيق. غازي طليمات، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، 1980م .
30- ابن النجار البغدادي ابو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن (ت (643هـ) خيل تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر يحيى ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1417هـ 1997.
31- الهمداني. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت 365هـ) ، البلدان، تحقيق . يوسف الهادي ، ط1، عالم الكتب ، بيروت ، 1416هـ / 1996م.
32- ابن الوردي سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (852هـ / 1448م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق . أنور محمد زناتي ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 1428هـ .
33- قوت الحموي . أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ) ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م

ثانياً- المراجع

1- ارتون ، توماس و الدعوة إلى الإسلام - بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية . تحقيق : حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، ط3، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1970م .
2- البغدادي اسماعيل باشا، هدية العارفين، دار احياء التراث العربي، بيروت، دارت جنكيز خان عبد العزيز، تركستان قلب أسياط 1 مركز الحضارة العربية، القاهرة،2010م .
3- دنلوب ، د.م. ، تاريخ اليهود الخزر. سهيل زكار، ط2، دار حسن، 1990 / دمشق، 1410هـ .
4- زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي تر. زكي محمد حسن بك وحسن احمد محمود ، دار الرائد العربي، بيروت، 1400هـ / 1980م .
5- الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ)، الأعلام ، 5، دار العلم للملايين ، بيروت، 2002م .
6- سركيس اليان، معجم المطبوعات العربية ، بهمن، طهران ، 1410هـ
7- الغفاري. عبد الرسول عبد المحسن الكليني والكافي ، ط1، مؤسسة النشر الاسلامية ، 1416هـ،
8- الفقي ، عصام الدين عبد الرؤف ، تاريخ الفكر الإسلامي ، دار الفكر الإسلامي ، القاهرة 1421هـ/2001م
9- قنديل ، فؤاد ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ط2 ، مكتبة الدار العربية، القاهرة 1423هـ/2002م.
10- كراتشوفسكي اغناطيوس بوليانوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تحقيق : صلاح الدين عثمان ، ليفكراد، 1957م.
11- المياح عبد الرحمن رشك شنجار أوربا في كتب البلدانيين العرب المسلمين دراسة في الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية ق 3هـ - 8هـ / ق م - 14م ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 2008م .

الرسائل والاطاريح

ما هي، إخلاص عيسى ، الحياة الاجتماعية في منطقة نهر الفولغا ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد ، 2007م .

البحوث والمقالات:

1- الجميل سيار، التكوينات التاريخية لجمهوريات اسيا الوسطى ، بحث نشر في مجلة لمستقبل العربي ، الموصل ، د. ت .
2- الشمري محمد كريم ابراهيم التأثير العربي الإسلامي على بلاد البلغار ((الروس)) من خلال رحلة ابن فضلان سنة 309هـ/ 921 ، بحث نشر في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد التاسع العددان 3-4، 2006 م.
3- العبادي عبد الله حسن رسالة ابن فضلان اسهام رائد ومبكر في العلوم الاجتماعية بحث نشر في مجلة جامعة محمد بن سعود الاسلامية ، العدد التاسع ، 1414هـ
4- أبو الفضل سميحة ، عقائد العز والمغول في بلاد ما بين النهرين قبل دخوله الإسلام بحث نشر في مجلة الدراسات التاريخية، جامعة دمشق ، العددان 103 و 104 1429 هـ / 2008مـ.